ترجمة معاني الاستثناء في القرآن الكريم:
دراسة مقارنة لبعض الترجمات المشهورة

أ.م/ زبيدة محمد خير حسن عرقسوسي
أستاذ مساعد في الترجمة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

الملخص:

للاستثناء في العربية أنواع وهي الاستثناء المتصل والاستثناء المنقطع والاستثناء المفرغ.

سنقوم في هذا البحث بدراسة الاستثناء بأدواته وأنواعه ومعانيه المختلفة في كل من اللغة العربية واللغة الإنجليزية، ثم نختار مثالين أو ثلاثة من القرآن الكريم عن كل معنى من معاني الاستثناء ونتأكد من صحة هذا المعنى بالرجوع إلى التفاسير المعتمدة ومختصر التفاسير للصابوني 1981م؛ ثم ندرس بطريقة تقابلية كيفية ترجمة هذا المعنى في عدد من ترجمات معاني القرآن الكريم المشهورة مثل ترجمة الهلالي وخان 1405هـ، وترجمة صحيح انترناشونال 1997م، وترجمة عبد الحليم 2005م، وترجمة عبد الله يوسف علي1991م، وترجمة آربري 1955م، وترجمة بيختال 1977م. وليس الهدف من كل هذا هو نقد الترجمات، بل الهدف هو استخلاص قائمة باستراتيجيات الترجمة التي أنتجت معنى أدق أو أقرب إلى الأصل، لنصل في النهاية لما يُعين المترجم على أداء عمله بشكل أفضل، ولنساهم في وضع معايير فنية لترجمة معاني القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الاستثناء، القرآن الكريم، الترجمة، نقد الترجمات، استراتيجيات الترجمة

Abstract

The aim of this study is to investigate the appropriateness of the different translation procedures used in rendering the various semantic as well as stylistic meanings of "exception "words and style in the Holy Qur'an.

This aim was achieved through deciding, first, on the different meanings of exception in both Arabic and English languages. Then, some Qur'anic examples of each type of meaning were chosen, and their various translations were compared and contrasted with the original in order to decide on the appropriateness of each of the translation procedures used in rendering each type of meaning, whether semantic or stylistic.

This resulted in deducing a list of translation procedures, put in an order of preference, according to the extent of the appropriateness of each of them. Some untranslatable meanings were also spotted, and compensation strategies were suggested. It is hoped that the study would be useful to translation practitioners as well as theorists by contributing a block to the field of translation studies. Above all, it is hoped that the study would be useful in correcting the translations of the holy Qur'an.

Key Words: Exception, Translation, Holy Quran, Untraslatability, Translation Strategies

1. مقدمة

1.1. مشكلة البحث وأهميته:

للاستثناء في العربية استخدامات واسعة تختلف باختلاف معانيه النحوية وكذا البلاغية، وكلما زادت الاستخدامات وتعددت المعاني كلما كانت الترجمة أصعب وكلما كان احتمال ضياع بعض المعاني في الترجمة أكبر، وخاصة إذا كانت هذه الترجمة إلى لغة ليس للاستثناء فيها إلا المعنى الأساسي كاللغة الإنجليزية حيث يندر أن يُوظف متحدثوها الاستثناء لخدمة أغراض بلاغية أخرى. وقد وقعتُ بالفعل على مقال في الشبكة العنكبوتية[1] يرد على من يدّعون وجود تناقضات في معاني القرآن الكريم،وبإنعام النظر فيما أورده المقال من أمثلة تبين لنا أن تناقض المعاني في بعض هذه الأمثلة راجع لعدم الدقة في ترجمة الاستثناء العربي إلى الإنجليزية.

وبما أن القرآن الكريم هو كتابنا المقدس نجد لزاما علينا أن ندرس معاني الاستثناء في القرآن الكريم ومشاكل نقلها إلى الإنجليزية ثم نحاول اقتراح حلول عملية لها، وهذا هو هدف هذا البحث.

ويستقي هذا البحث أهميته ابتداء من قداسة النص المدروس، خاصة إذا عرفنا أن الاستثناء قد استُخدم في القرآن الكريم في أكثر من 656 موضعا. والحقيقة أن نشر رسالة السماء المقدسة هو الهدف الأول لعلم الترجمة ومقصدها الأساسي، وقد نص على ذلك مؤسس دراسات الترجمة في العصر الحديث بيتر نيومارك[2]. ولهذا نجد أن القرآن الكريم والكتب المقدسة عموما قد حظيت بأكبر عدد من الترجمات، ويكفينا أن نذكر في هذا المقام أن عدد الترجمات الإنجليزية المختلفة للقرآن الكريم هو أكثر من سبعين ترجمة[3]، وهذا طبعا إذا اقتصرنا على ما تم منها وكمل. وكثرة الترجمات تدل على عظم وأهمية موضوع الترجمة كما تدل أيضا على أن اللاحقين من المترجمين غير راضين تماما عن ترجمة السابقين. وقد أظهرت الدراسات المقارنة[4] لبعض هذه الترجمات المقبولة لدى علماء المسلمين أن سبب إمكانية التحسين والتعديل على الترجمات لن ينقطع أبدا لأنه ليس راجعا للمترجم[5] بقدر ما هو راجع لوفرة المعاني القرآنية التي لم يكن بالإمكان معرفة الطريقة الأنسب للتعبير عنها في الإنجليزية قبل الكشوفات الحديثة في علم اللغة وعلمي الدلالة والتداول، وبما أن المعرفة تراكمية فكلما زادت المعرفة كلما فُتحت أبواب جديدة للتعديل على الترجمات. كما أن الكتب المقدسة والقرآن تحديدا من أكثر النصوص استغلاقا على الترجمة لوفرة المعاني الثقافية فيها والتي يصعب التعبير عنها بنفس القوة بلغة أخرى، لدرجة دفعت العلماء في العصور الأولى لتحريم الترجمة لأنهم رأوا استحالة الإتيان بمعانيه كاملة بشكل دقيق[6]، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[7]، ثم عادوا وحللوها عندما رأوا غير المسلمين من المستشرقين وأصحاب الأقلام المأجورة يتسابقون لترجمة القرآن بما يتناسب مع

أهوائهم. ولكنهم وضعوا لذلك شروطا أهمها أن يذكر المترجم أن ترجمته ليست ترجمة للقرآن بل لبعض معانيه حيث يستحيل الإتيان بالكل[8]. والحقيقة أن المترجم الحق يعلم تماما أن الترجمة لا تكون أصلا بحال، مهما كان حاذقا، لأنه يستحيل أن تتفق لغتين في ألفاظهما وتراكيبهما واستخداماتهما. ولهذا فعند ترجمة العقود والوثائق، التي تترتب عليها حقوق وواجبات، يُذَيّل العقد عادة بجملة تقول عند الاختلاف فإن الحَكَم هو النص الأصلي. لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله. لذا نعود ونقول إن الدراسات الحديثة في علم اللغة وفي علم الترجمة قد تساعدنا في تصحيح بعض المعاني ويظل الباب مفتوحا للاحقين لتصحيح معان أخرى بناء على ما يصلون إليه من نتائج.

كما أن لهذا البحث أهمية نظرية وعملية، فالنظرية تكمن في تفصيله للفروقات بين الاستثناء العربي ومقابله الإنجليزي. وعمليا سيقدم البحث للمترجمين حلولا عملية لمواطن الإشكال في ترجمة الاستثناء كما نرجو أن يساهم في تصحيح ترجمات معاني القرآن الكريم للقارئ الأجنبي.

2.1. خطوات البحث:

هذه دراسة نظرية تحليلية مقارنة نبدأ فيها بتعريف الاستثناء وأدواته ومعانيه النحوية والبلاغية في العربية ثم نقابل هذا بتعريف الاستثناء وأدواته ومعانيه بالانجليزية ثم نقوم عمليا بتحليل أمثلة من القرآن الكريم لكل معنى ونقابلها بتحليل ترجماتهم المختارة لنحدد مواضع القوة والضعف في كل ترجمة ولنصل للاستراتيجيات الأفضل للتعبير عن المعنى المطلوب في كل حالة.

وقد اخترنا ست ترجمات مرضي عنها في عالمنا الإسلامي حتى لا نضطر لمناقشة عقيدة المترجم ودوافعه وتوجهاته فنخرج عن هدف هذا البحث وهو التركيز على استراتيجيات الترجمة المستخدمة واختيار أنسبها. والترجمات المختارة هي:

ترجمة الهلالي وخان، وترجمة آربري، وترجمة يوسف علي، وترجمة بيختال، وترجمة صحيح انترناشونال، وترجمة عبد الحليم. وجميع هؤلاء المترجمين تميزوا بالأمانة العلمية في ترجمتهم، بما فيهم المستشرق آربري. وقد نصوا جميعا في مقدمة ترجماتهم على أن هدفهم الأول هو التعبير عن المعنى الأصلي ما وجدوا لذلك سبيلا. وفوق هذا الهدف المشترك فقد نص يوسف علي على هدف آخر وهو وضع الترجمة بصيغة أدبية لائقة بالمكانة الأدبية للنص القرآني. كما نص عبد الحليم على اهتمامه بالمعاني البلاغية تحديدا لأنها لا تحظى بالاهتمام الكافي في الترجمات الموجودة. ومثل هذا الهدف الأدبي وكذا البلاغي يعنينا كثيرا لأننا لا ندرس المعاني النحوية فقط بل البلاغية أيضا.

وسيتم تحديد معنى الأصل بالرجوع للتفاسير المعتمدة كابن كثير (2000م) والصابوني (1981م) والطبري(1968م)، وابن عطية (1985م) وغيرها،ثم بناء على مدى التقابل أو الاختلاف بين الأصل والترجمة نصل إلى الاستراتيجيات الأكثر ملاءمة لكل معنى.

2.الدراسات السابقة

ظهرت في الآونة الأخيرة بعض الدراسات التي اهتمت بدراسة الاستثناء في القرآن تحديدا وحددت أدواته ومعانيه وأهمها دراسة الشجري (1991م)، ودراسة الكعبي (1993م)، ودراسة جبران(2008م). والأخيرة دراسة نحوية بحتة ليس للجانب البلاغي فيها أدنى نصيب. أما الدراسة الأولى والثانية فقد اهتمتا بدراسة الاستثناء في القرآن وتراكيبه من وجهة نظر نحوية وبلاغية معا، إلا أن التركيز في دراسة الشجري انصب على المعاني البلاغية أكثر بينما ركزت الكعبي في دراستها على الجوانب والمعاني النحوية أكثر.إلا أن هذه الدراسات جميعها لم يكن هدفها الترجمة ولذلك لم تتعرض للاستثناء في اللغات الأجنبية ولم تدرس الترجمات الموجودة للاستثناء في القرآن ولا مدى نجاحها.

والدراسة الوحيدة التي وجدتها تعتني بفحص ترجمات الآيات القرآنية التي ورد فيها الاستثناء هي دراسة زياد ومحمد(2013م). إلا أن هذه الدراسة لم تتطرق للمعاني النحوية إطلاقا، كما اقتصرت في دراستها للمعاني البلاغية على تلك المعاني التي يسميها الجرجاني (471هـ) معاني المعنى، ويصنفها على أنها ممكنة ولكنها ليست أكيدة لأنها تعتمد على" أمر يرجع إلى غرض المتكلم" وليس لأمر في "الكلام نفسه"[9].وقد وجدنا في دراسة سابقة[10] أن المترجم إن اعتنى بترجمة المعنى المباشر ومعنى المعنى الذي يكون عليه دليل من الكلام نفسه فإن المعاني الأخرى أو مقاصد المتكلم الأخرى ستتأتى دون عناء. وأخيرا فإن دراسة زياد ومحمد (2013م) وصْفية أكثر من كونها نقدية لأنها لم تقترح حلولا عملية للمشكلة يستفيد منها المترجمون. لذا نأمل أن تساهم دراستنا هذه بسد هذه الثغرة قريبا.

3. الاستثناء وأدواته ومعانيه في اللغة العربية

3. 1. تعريف الاستثناء

الاستثناء لغة من الثني وهو العطف والطي والرد، "فهو ثناية في الكلام وطي لبعض الكلام على بعض."[11]

أما اصطلاحا فللاستثناء تعريفات في علم النحو وأخرى في علم البلاغة، وقد ركز النحويون، أمثال سيبويه (180هـ)[12]، وابن جني (-392هـ)[13] وابن فارس (395هـ)[14]،في تعريفاتهم على وصف التركيب النحوي وتحديد معناه الأساسي فأكدوا أن الاستثناء هو ما وقع بعد أداة دالة عليه، بينما نبهوإلى أن حد الاستثناء هو إخراج الشيء مما كان داخلا فيه. أما البلاغيون مثل أبي هلال العسكري (-395هـ)[15]، وابن أبي الإصبع (-654هـ)[16]، والزركشي (-794هـ)[17]فقد ركزوا في تعريفاتهم على اشتراط وجود معان طريفة زائدة على معنى الاستثناء النحوي.

وألطف تعريف اصطلاحي للاستثناء يجمع جوانبه النحوية والبلاغية معا هو تعريف جبران[18] الذي جمع فيه التعريف النحوي الذي وضعه الرضي الإستراباذي (684هـ)[19] وتعريف جمال الدين محمد بن مالك(672هـ)[20] البلاغي فقال: "الاستثناء هو المذكور بعد إلا أو إحدى أخواتها المخرج مما قبلها بعضا من كل تحقيقا أو تقديرا، متصلا أو منقطعا، محكوما عليه بنقيض ما حكم به أولا سواء كان من جنس المستثنى أو من غير جنسه بشرط الإفادة".

2.3. أدوات الاستثناء في العربية

قصرعبد القاهر الجرجاني(-471هـ)[21]أدوات الاستثناء على "إلا"، وأجمع اللغويون والنحاة على أن معناها إخراج شيء مما دخل فيه غيره، وقد وردت في القرآن الكريم في 656 موضعا. ولكن النحاة بعد الجرجاني أضافوا إلى (إلا) عددا من الأدوات حتى بلغت اثنتي عشرة أداة وهي:

"إلا وغير ولما وحاشا وسوى وليس وخلا ولا يكون ولا سيما وبيد وبله وعدا."

ولكن المتفحص للقرآن الكريم يجد أن الأربعة الأخيرة وهي(لا سيما وبيد وبلة وعدا) لم ترد في القرآن أصلا، لا بمعنى الاستثناء ولا بغيره من المعاني. أما الثلاثة التي قبلها وهي (ليس وخلا ولا يكون) فقد أجمع النحاة على أنها لم ترد في القرآن بمعنى الاستثناء مطلقا.

وأما (لما وحاشا وسوى) فقد وردت في القرآن في عدد محدود جدا من الآيات، حيث وردت (لما)في ثلاثة مواضع، ووردت (حاشا) في موضعين، ووردت (سوى) في موضع واحد فقط. والحقيقة أن النحاة قد اختلفوا في تأويل معنى الاستثناء في جميع هذه المواضع. وقد فصل جبران(2008م) والشجراوي(1991م) أقوال النحاة وتأويلاتهم وأوضحوا أن الاستثناء في هذه المواضع جميعها محل خلاف بين المتخصصين.

أما (غير) فقد ذكرت في القرآن147 مرة، وهي في الأصل أداة وصف لا استثناء، إلا أن بعض الباحثين مثل محمد جبران درسها مع أدوات الاستثناء وعلل ذلك بكون (إلا)"قد شابهت (غير) في الوصفية، وشابهت (غير()إلا) في الاستثناء فحملت كل واحدة منها على الأخرى"[22]

غير أن القسم الآخر من الباحثين والذين قاموا بتحليل معنى النص في هذه الآيات مثل الشجراوي[23] فقد استخلصوا أن (غير) لم تستخدم للاستثناء في القرآن الكريم إلا في سبعة عشر موضعا فقط من المواضع المئة والسبعة والأربعين، وحتى في هذا العدد القليل من الآيات فقد اختلف النحاة والقراء في حكم ادخالها في معنى الاستثناء، فهي تتضمن معنى النفي ولكنها ليست استثناء محضا البتة.

وبما أن هدف هذا البحث هو دراسة ترجمة معاني الاستثناء تحديدا فسنقتصر على دراسة معاني (إلا) فقط، فهي التي أقرها إمام العربية عبد القاهر الجرجاني وهي التي لم يختلف عليها أحد من اللغويين.

3. 3. معاني (إلا) الاستثنائية

3. 3. 1. المعاني النحوية

الاستثناء ضرب من المعاني الحقيقية لا المجازية في اللغة. وقد حدد النحاة له حدا وعددا من المعاني الأصلية التي استقرؤوها من التراث، وسنشرحها فيما يلي باختصار:

المعنى الأول:

هو معنى الإخراج والرجوع عن الشيء وهذا هو الأصل أو الحد في الاستثناء بإلا. وقد ذكر ابن جني[24] أنه بمعنى إخراج شيء مما دخل فيه غيره في الجمل المثبتة، وإدخال شيء فيما أخرجت منه غيره في الجمل المنفية. وقد عبر النحاة عن الإثبات والنفي بمصطلحي الاستثناء الموجب وغير الموجب لأنهم قصدوا بغير الموجب ما اشتمل على نفي أو شبهه، وشبه النفي النهي وكذا الاستفهام الذي يتضمن معنى النفي[25]. وأمثلة هذا المعنى في القرآن كثيرة ومنها:

– الاستثناء الموجب:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[26]

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠ ﴾ [27]

﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ ﴾ [28]

– الاستثناء غير الموجب:

﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [29]

﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ [30]

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [31]

المعنى الثاني:

جميع الأمثلة السابقة تصنف على أنها استثناء متصل وهو ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه. ولكن الاستثناء في العربية يأتي متصلا ويأتي منقطعا ويكون المستثنى في المنقطع من غير جنس المستثنى منه. ففي المنقطع تكون الصيغة صيغة استثناء ولكن المعنى كما ذكر ابن يعيش (-643هـ)[32] هو الاستدراك، وهذا ينقلنا **للمعنى الثاني الذي أقره النحويون للاستثناء بإلا وهو الاستدراك، وتقديره (لكن)**، ومن أمثلته الكثيرة في القرآن:

– الموجب

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٤ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٢٥ ﴾ [33]

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [34]

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩﴾ [35]

– غير الموجب

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝٦٢ ﴾ [36]

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ [37]

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ ﴾[38]

ويجدر هنا أن ننوه لفرق بسيط في المعنى بين (لكن) و (إلا) "فكلاهما ما بعدهما مضاد لما قبلهما، إلا أن ما بعد (لكن) ليس بعضا مما قبلها كما هو الحال مع (إلا)."[39]

المعنى الثالث:

المعنى الثالث للاستثناء هو الحصر ويسميه بعضهم القصر ونجده في الاستثناء المفرغ وهو ما حذف منه المستثنى منه. ويشترط النحويون لحصول هذا المعنى أن يتقدم (إلا) نفي صريح أو مقدر. ويمثلون للصريح بقوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[40]، ويمثلون للمقدر بقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[41]. وتقديرها "وإنها لا تسهل إلا على الخاشعين"[42]. ولكن بعض المعاصرين مثل الشجراوي (1991م) يرون أن الأولى أن نقول إن الاستثناء المفرغ يكون موجبا وغير موجب كغيره من أنواع الاستثناء بدل تقدير وتأويل ما لم تقله الآيات صراحة. وذكر الشجراوي[43] أنه وجد ما يقرب من العشرين مثالا للاستثناء المفرغ الموجب في القرآن. ولكنها في الحقيقة نسبة قليلة جدا بالنظر لعدد أمثلة الاستثناء المفرغ الغير موجب والذي قاربت أمثلته في القرآن الكريمالخمسمائة مثال. لذا نقول إن النحويين ربما بنوا قواعدهم على الغالب الأعم في الاستخدام اللغوي. ومن الأمثلة لهذا الاستثناء غير المنفي ما يلي:

﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴾[44]

﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ ﴾ [45]

﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [46]

وبمراجعة هذه الأمثلة في كتب البلاغة نجدها كلها مواضع اختلاف ومعظم اللغويين القدماء والمعاصرين ومنهم جبران(2008م) والكعبي(1993م) يصنفون الآية الأولى والأخيرة على أنهما استثناء متصل، أما المثال الأوسط فيصنفونه مع المنقطع، مما يعني أن الخلاف ليس دائما في تقدير النفي من عدمه، بل في نوع الاستثناء أيضا. وبما أن هدفنا هو الخروج بقواعد عامة لترجمة الاستثناء وتراكيبه، فإن هذا الهدف حاصل دون الدخول في هذه الخلافات، خاصة وأن عدد الأمثلة المختلف عليها لم يكمل أربعة بالمئة من أمثلة الاستثناء المفرغ في القرآن الكريم.

لذا سنقتصر على دراسة أمثلة الحصر المسبوق بنفي أو شبهه كالاستفهام والنهي، وسنكتفي هنا بذكر المعنى العام للحصر، ألا وهو إثبات المذكور ونفي غير المذكور، وسنؤجل شرح تفاصيل هذا المعنى إلى حين شرحه مع المعاني البلاغية للاستثناء لأن أهل البلاغة في العربية هم من اعتنى عناية خاصة بهذا التركيب وفصل معانيه بحسب حال المخاطب وبحسب المقام.

المعاني الثلاث السابقة هي المعاني الحقيقية المباشرة التي أثبتها النحويون للاستثناء بجميع أنواعه. ولكن النحويين لاحظوا أيضا أن تركيب الاستثناء (بإلا) قد يستخدم ولا يراد به الاستثناء، بل يكونلمعان أخرى هي الوصف والشرط والتشريك والنفي للأضراب. وفيما يلي سنشرح هذه المعاني بأمثلتها.

المعنى الرابع:

قد تأتي (إلا) للوصف لا للإستثناء وهنا تكون بمعنى (غير) الدالة على معنى النفي، وتقع هي وما بعدها صفة مغايرة لما قبلها، ومن أمثلتها:

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [47]

فلفظ الجلالة هنا مرفوع ولا يجوز نصبه على الاستثناء لأن المراد نفي الآلهة المتعددة وإثبات الإله الواحد، ولو نصبت على الاستثناء لتعذر نفي الآلهة المتعددة ولكان المعنى لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، و هو معنى فاسد لما فيه من تقدير تعدد الآلهة[48]. و هذه الآية هي الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي انفردت فيه (إلا) بمعنى الصفة (غير). أما في المواضع الأخرى فقد جاءت مشتركة بين الصفة وبين أنواع الاستثناء المختلفة من متصل ومنقطع ومفرغ، وهذه أمثلتها بالترتيب.

﴿ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨﴾[49]

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [50]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ ﴾ [51]

المعنى الخامس:

تأتي (إلا) شرطية في عدة مواقع في القرآن الكريم، و قد فسرها النحويون بأنها في هذه المواقع مركبة من (إن) الشرطية و(لا) النافية. ومن أمثلتها

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ [52]

﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [53]

﴿ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ [54]

المعنى السادس:

ذكر بعض النحاة أن (إلا) تكون بمعنى الواو في التشريك كما في قوله تعالى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[55]، فأوّلوها بقولهم ولا الذين ظلموا، ولكن الفتلي[56] أكّد أن معظم النحاة لا يُسلّمون بهذا، وأن سيبويه لم يذكر هذا المعنى لما فيه من تأويل وتكلف، فالاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأول والتشريك بالواو يقتضي العكس أي إدخال الثاني في حكم الأول، لذا لا يكون أحدهما بمعنى الآخر.

المعنى السابع:

قد تكون (إلا) بمعنى (بل)كقوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾[57]، والحقيقة أن (بل) تشترك مع (إلا) في النفي للأضراب إلا أن النحاة لم يذكروا لهذا المعنى مثالا غير هذا، كما أنهم لم يتفقوا عليه، بل فسره الكثير منهم بمعنى لكن الاستدراكية. ولهذا فإننا في بحثنا هذا لن نعتبر هذا المعنى ولا سابقه وهو التشريك وسنقتصر على دراسة الخمس معاني الأخرى المتفق عليها، وبما أن القصر سيدرس لاحقا مع المعاني البلاغية، فإن المعاني النحوية المدروسة فعليا ستكون أربعة فقط وهي الإخراج أو الطرح، الاستدراك مثل (لكن)، والوصف مثل (غير)، والشرط مثل(إن لا).

3. 3. 2. المعاني البلاغية للاستثناء:

اعتنى البلاغيون بدراسة التركيب الاستثنائي وخاصة الاستثناء المفرغ لما فيه من معان طريفة زائدة على معنى الاستثناء النحوي. وقد قسم ابن أبي الإصبع عبد العظيم المصري (654هـ)[58]الاستثناء إلى لغوي قد فرغ النحاة من تقريره، وصناعي يتضمن ضربا من المحاسن زائدا على ما يدل عليه اللغوي. ولهذا قالوا كل استثناء صناعي لغوي وليس كل استثناء لغوي صناعيا.

وبغض النظر عن اللطائف الزائدة على معنى الاستثناء الأصلي فيه، فإن الإستثناء نفسه أسلوب بليغ وذلك لما فيه من إيجاز.فبدل قولنا جملة الإيجاب (جاءني القوم) وجملة النفي (ما جاءني زيد)، قلنا (جاءني القوم إلا

زيدا) فأفدنا معنى الجملتين وهما ثبوت مجيء القوم ونفي مجيء زيد. فكانت الجملة أقوى لأنها أوجز وأشد تقريرا في الحكم. ولذلك اعتنى البلاغيون بهذا التركيب فهم دائما ينظرون إلى ما يجعل الأسلوب أكثر بهجة وطلاوة وجمالا. وأكثر ما اعتنوا به هو الاستثناء المفرغ لأنه الأكثر إيجازا وبلاغة، ففي المثال السابق إن استخدمنا النفي مع الاستثناء وحذفنا القوم لوضوح معناها وقلنا (ما تغيب إلا زيد) أفدنا فوق ما سبق التقرير والتوكيد لإثبات تغيب زيد ولنفي تغيب غيره، حيث قصرنا صفة الغياب على زيد فكان المعنى أقوى وأبلغ وأوجز.

وقد لخص الشجراوي[59] بعد دراسته لكتب التراث،أنواع الاستثناء عند البلاغيين أو معانيه في ستة أضرب، ثلاثة منها تتفق مع أنواع الاستثناء الثلاثة التي قررها النحويون من متصل ومنقطع ومفرغ، فذكر أولا الاستثناء اللغوي، والأصل أن هذا يشمل كل الأنواع النحوية للاستثناء ولكن يبدو أنه قد قصره هنا على الاستثناء المتصل لأنه عاد وذكر الأنواع الأخرى منفصلة، فذكر الاستدراك حيث تكون (إلا) بمعنى لكن الاستدراكية وهو الاستثناء المنقطع، واستثناء الحصر والقصر بالنفي وإلا، وهو الاستثناء المفرغ. وهذا الاتفاق بين النحاة والبلاغيين طبيعي لأن تركيب الاستثناء بحد ذاته تركيب بليغ كما سبق وأسلفنا.

أما المعاني الثلاثة الأخرى فهي تأكيد المدح بما يشبه الذم، والاحتراس أو التكميل، والاستثناء الصناعي. ونحن نرى أن الأخير أو الاستثناء الصناعي ليس معنى بنفسه بل اسم جامع لكل استثناء تضمن ضربا من المحاسن زائدا على ما يدل عليه الاستثناء اللغوي. لذا سنستبدل النوع الأخير بالمعنى الذي ذكره الشجراوي نفسه أثناء شرحه لهذه المعاني وهو التضاد أو الاقتران التضادي.

وسنشرح فيما يلي هذه المعاني الثلاثة بأمثلتها من القرآن الكريم، ثم نعود لتفصيل المعاني البلاغية في الاستثناء المفرغ والتي لم نذكرها سابقا مع معناه النحوي.

أولا: تأكيد المدح بما يشبه الذم

وهو "أن يستثني من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها"[60]. كأن نقول (لا عيب فيه إلا كرمه الحاتمي أو طيبته) فالكرم والطيبة ليست عيوبا بل من مكارم الأخلاق. ولهذا فهو تأكيد للمدح. ويتبع هذا النوع تأكيد الذم بما يشبه المدح حيث نستثني من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيه، فنقول عن التدخين مثلا (لا فائدة فيه إلا تقريب الأجل) فنؤكد ذمه. ومن أمثلته في القرآن:

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ ﴾[61]

﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ ﴾ [62]

﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ ﴾ [63]

وكلها كما نرى من الاستثناء المنقطع لأن ما بعد (إلا) ليس بعضا مما قبلها.

ثانيا: الاحتراس أو التكميل

و"هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم"[64]. كقولنا (ما دعوت يوما بين الأذان والإقامة ولا بعد صلاة ولا في قيام ليل إلا ودعوت لك)فلو حذفنا (يوما)وما بعدها من وصف لتوهم السامع أن الدعاء كان من القائل أثناء حجه فقط أو في عمرته فقط، فلما أورد (يوما)وما بعدها أفادت الاحتراس ودفع الوهم وتكميل المعنى، وأن الدعاء حاصل في جميع الأوقات وبجميع الأحوال. ومن أمثلتها في القرآن الكريم:

﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١ ﴾ [65]

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ ﴾ [66]

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦١ ﴾ [67]

والمثال الأول استثناء منقطع والآخرين استثناء مفرغ أو حصر ولهذا الأخير استعمالات بلاغية أخرى سنفصلها لاحقا.

ثالثا: التضاد أو الاقتران التضادي

تحمل بعض الآيات تضادا بين فريقين، ففي سورة العصر مثلا: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾[68]، لا يُخرج الاستثناء "الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" ممن هم "في خسر" فحسب، بل يدخلهم في دائرة من هم في ربح أيضا. وقد نص على ذلك الإمام الرازي(666هـ)[69]، كما ذكر الشجراوي[70]. وبناء عليه فإن الفريق الأول لا يتصف بعدم الإيمان وعدم عمل الصالحات وعدم التواصي بالحق فحسب بل يتعدى هذا للكفر و إتيان المعاصي والتواصي بالباطل والفجور.

ويقع هذا المعنى في الاستثناء المنقطع وكذا المتصل وسنذكر مثالين على كل منها بالترتيب.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [71]

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [72]

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [73]

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [74]

رابعا: القصر أو الحصر (أسلوب الاستثناء المفرغ)

رأينا كيف أن المعاني البلاغية السابقة أمكن ورودها في أنواع الاستثناء المختلفة، وأما المعاني التي سنشرحها هنا فتختص بالاستثناء المفرغ تحديدا وقد سبق وبينا أن هذا النوع هو ما حذف منه المستثنى منه واشتمل على نفي أو شبه نفي كالاستفهام أو النهي، وهذه الصيغة فيها إيجاز فوق إيجاز الاستثناء اللغوي العادي لما فيها من حذف للمستثنى منه، مما يجعلها الأغنى بالمعاني البلاغية. والحقيقة أن هذا النوع هو أكثر الأنواع ورودا في القرآن الكريم فقد ورد في 498 موضعا نسبة إلى 65 موضعا فقط للاستثناء المنقطع، و 76 موضعا للاستثناء المتصل[75].وليس هذا بغريب على نص كالقرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا معانيه. يقول الرافعي"ليست الكلمة في القرآن كما تكون في غيره، بل السمو فيها على الكلام، أنها تحمل معنى، وتومئ إلى معنى، وتستتبع معنى، وهذا ما ليس في الطاقة البشرية، ...."[76].

وقد حدد البلاغيون للحصر معناه الأساسي وفصلوا له مرامي ومقاصد تتعدد بتعدد المقام وتختلف باختلاف حال المخاطب. فأما معنى الحصر فهو إثبات المذكور ونفي غير المذكور، وسماه السكاكي(626هـ) [77] قصرا فكان بهذا هو أول من استخدم لفظة القصر وعرفه وحدد أنواعه. والقصر هو "أن نجعل شيئا مقصورا على شيء لا يتعداه لغيره، وهو نفس معنى الاختصاص في الاستثناء، فمعنى (إلا) الملازم لها هو الاختصاص بالشيء

دون غيره. فإن قلت (ما جاءني إلا زيد) فقد اختصصته بالمجيء، أي أنك أثبت مجيئه ونفيت مجيء غيره"[78]. والفرق بين الاختصاص والحصر هو أن الاختصاص طريقة من طرق الحصر[79]، أما الحصر أو القصر فقد يستعمل فيه الاستثناء وقد يستعمل فيه غيره من التراكيب كالتقديم والتأخير وغيرها. كما أن للنفي في الحصر قوة بلاغية في التأكيد والإثبات سببها ورود النفي مرتين، مرة في أداة النفي ذاتها ومرة في أداة الاستثناء (إلا) التي تفيد الإخراج[80]. ولذلك كان الحصر أقوى من الاستثناء العادي لأنه بمثابة تأكيدين، تأكيد الإثبات وتأكيد النفي. فهو أسلوب قوي لإقامة الحجة ودحض الادعاءات الباطلة وقد استخدم في القرآن كثيرا في قضايا التوحيد وإثبات الألوهية ودحض مزاعم المشركين وأباطيلهم.

وقد قسم البلاغيون القصر إلى نوعين: الأول هو قصر صفة على موصوف دون غيره، مثل ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [81]، حيث قصر صفة الألوهية على الله، والثاني هو قصر موصوف على صفة دون غيرها، مثل ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾[82]، حيث قصر الموصوف "محمد" صلى الله عليه وسلم على صفة الرسالة، وهي الصفة المناسبة لإثبات مقام أنه يموت كباقي الرسل. و"الصفة والموصوف عند البلاغيين ليست كالنعت عند النحويين، بل هو كل معنى يتصف به موصوف ما، كالفعل يتصف به الفاعل، وكالخبر يتصف به المبتدأ، وكالحال يتصف به صاحب الحال وهكذا"[83].ويكون المقصور بالنفي والاستثناء هو ما قبل (إلا)، صفة كان أو موصوفا. أما المقصور عليه فهو ما بعد أداة الاستثناء. كما قسم البلاغيون القصر بحسب أحوال المخاطب إلى ثلاثة أنواع، أضاف عليها حبنكة الميداني[84] نوعا آخر وهو الإعلام الإبتدائي فصارت أربعة أنواع وهي:

ا. **قصر إعلام ابتدائي** وهو الموجه لخالي الذهن عن الموضوع أو للتعبير عما في نفس المتكلم دون النظر إلى رأي الآخرين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [85]

قصر موصوف على صفة. قصرُ إمكانية دخول الصحابة على بيوت النبي على صفة أن يؤذن لهم.

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾ [86]

قصر موصوف على صفة. كان الناس أمة واحدة أي غير مختلفين في العقيدة.

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [87]

قصر صفة على موصوف. قصرُ الشفاعة على من أذن الله له.

﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [88]

قصر صفة على موصوف. قصرُ صفة النفع يوم القيامة على من أتى بقلب سليم.

ب. قصر إفراد وهو الموجه لمن يعتقد اشتراك صفتين أو أكثر في موصوف بقصد إعلامه بخطأ تصوره مشاركة غير المقصور عليه في المقصور.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ ﴾ [89]

قصر موصوف على صفة : قصرُ نوح على صفة الانذار و نفي صفة طرد المؤمنين

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [90]

قصر موصوف على صفة: قصر محمد صلى الله عليه وسلم على صفة العموم والشمول لسائر الأمم ونفي أنه للعرب فقط.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [91]

قصر صفة على موصوف. قصرَ صفة الألوهية على الله سبحانه وتعالى فنفى ما سواه وأفرده بالألوهية.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [92]

قصر صفة على موصوف. قصرَ علم التأويل على الله سبحانه وتعالى فنفى حتى العلماء.

ج. قصر قلب: وهو الموجه لمن يراد قلب مفاهيمه عن نسبة المقصور إلى غير المقصور عليه.

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥ ﴾ [93]

قصر موصوف على صفة. قصر الكفار القرآن على صفة أساطير الأمم السابقة لينفوا أنه وحي من السماء، فقلبوا الحقيقة.

﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾ [94]

قصر موصوف على صفة. قصر حقيقة الحياة الدنيا على صفة متاع الغرور لينفي أنها دار قرار، ويقلب المفاهيم الباطلة.

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾ [95]

قصر صفة على موصوف. قصر صفة الخداع على أنفسهم لقلب المفهوم ونفي خداعهم الله، لأن دائرة الخداع راجعة إليهم.

﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ ﴾ [96]

قصر صفة على موصوف. قصر القول على ما أمر به الله تعالى و نفي ما سواه لقلب المفهوم و تكذيب ادعاءات قوم سيدنا عيسى الباطلة.

د. قصر تعيين وهو الموجه لمن يراد إزالة تردده وشكه هل المقصور منسوب إلى المقصور عليه أو إلى غيره.

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ [97]

قصر موصوف على صفة. قصر خلق الجن والإنس على صفة العبادة، فأفاد تعيين الغاية من خلقهم ونفي أي غاية أخرى.

﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [98]

قصر موصوف على صفة. قصر المشركين عبادتهم غير الله على كونها لغاية تقربهم من الله فأفادوا تعيين الغاية ونفي ما سواها.

﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ﴾ [99]

قصر صفة على موصوف. قصرُ صفة الكلام يوم القيامة على من أذن له الرحمن وقال صوابا فأفاد تعيين هذه الفئة و نفي غيرهم.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [100]

قصر صفة على موصوف. قصر العبادة على الله، فأفاد تعيين المعبود و نفي غيره.

والجدير بالذكر هنا أن السكاكي [101] قد أدخل قصر التعيين في قصر الإفراد وسمى الكل إفرادا وجعله لمن يعتقد اشتراك صفتين أو أكثر في موصوف أو لمن يشك في ذلك. وتتبعنا للأمثلة السابقة يؤكد لنا إمكان تداخل معنيي الإفراد والتعيين، وعدم تعارض قصدهما معا من قبل المتكلم.

نستخلص أخيرا وليس آخرا: إن المعاني البلاغية للاستثناء في العربية أربعة وهي تأكيد المدح بما يشبه الذم، الاحتراس و التكميل، والتضاد، والقصر بأنواعه.

إلى هنا ينتهي الفصل الأول من المقال، وسيتبعه الفصل الثاني بمراجعه في المرة القادمة إن شاء الله.

الهوامش:

[1](www.islamic.org.uk/internalc.html)

[2]Newmark, P. 1993, p. 57

[3]ذكر الأعظمي (2015) في مقاله خمسا وسبعين ترجمة إنجليزية مكتملة للقرآن الكريم.

[4]عرقسوسي، 367:2003

[5]ونعني هنا مترجم الترجمات المقبولة لدى علماء المسلمين وليس أصحاب الأهواء والعقائد الضالة من المترجمين.

[6]البيومي: 2000

[7]سورة الإسراء، أية 88

[8]البيومي، 2000

[9]الجرجاني، 1991: 420–422

[10]عرقسوسي، 2003

[11]جبران، 2008: 13

[12]الكتاب، ج 2، ص 310

[13]اللمع في العربية، ص 149

[14]الصاحبي في اللغة، ص 134

[15]كتاب الصناعتين، ص 460

[16]بديع القرآن، ص 121

[17]البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 51

[18]جبران، 2008: 79–80

[19]شرح كافية ابن الحاجب، ج2، ص 244

[20]شرح التسهيل، ج2، ص 264

[21]العوامل المائة النحوية: ص 192

[22]جبران، 2008: 511

[23]الشجراوي،1991: 256

[24]ابن جني، 1979: 149

[25]الكعبي، 1993: 90

[26]سورة البقرة، آية 249

[27]سورة الفرقان،آية 69–70

[28]سورة المدثر، آية 38– 39

[29]سورة النساء، آية 66

[30]سورة هود، آية 81

[31]سورة الجن، آية 26–27

[32]شرح المفصل، ج2: ص 80

[33]سورة الانشقاق، آية22–25

[34]سورة البقرة، آية 34

[35]سورة الحجر، آية 59

[36]سورة مريم، آية 62

[37]سورة النساء، 157

[38]سورة ابراهيم، أية 22

[39]الشجراوي، 1991: 188

[40]سورة يس، آية 30

[41]سورة البقرة، آية 45

[42]الكعبي، 1993: 51

[43]الشجراوي، 1991: 107–121

[44]سورة يوسف، آية 66

[45]سورة البقرة، آية 237

[46]سورة الأنفال، آية 72

[47]سورة الأنبياء، آية 22

[48]الكعبي، 1993: 48

[49]سورة الحجر، آية 18

[50]سورة النجم، آية 32

[51]سورة النور، آية 6

[52]سورة الانفال، آية 73

[53]سورة التوبة، آية 39

[54]سورة هود، آية 47

[55]سورة البقرة، آية 150

[56]الفتلي، 1987: 255

[57]سورة طه، آية 2–3

[58]بديع القرآن، ص 121

[59]الشجراوي، 1991: 40–41

[60]الشجراوي، 1991: 40

[61]سورة طه، آية 1–3

[62]سورة الواقعة، 25–26

[63]سورة يونس، آية 98

[64]الشجراوي، 1991: 41

[65]سورة الحجر، آية 30–31

[66]سورة التوبة، آية 121

[67]سورة يونس، آية 61

[68]سورة العصر، 1–3

[69]الأنموذج الجليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل. الإمام الرازي. عن مجلة الأزهر/رجب/ 1410: 547.

[70]الشجراوي، 1991: 103

[71]سورة هود، آية 116

[72]سورة الشعراء، آية 75 -82

[73]سورة مريم، آية 59–60

[74]سورة الشعراء، آية 224–227

[75]جبران، أسلوب الإستثناء في القرآن الكريم. 2008: 134

[76]الرافعي، 1937، ج 1، ص 272

[77]السكاكي، مفتاح العلوم. 1983: 288–298

[78]الكعبي،1993: 51

[79]الكعبي، 1993: 75

[80]الكعبي، 1993: 134

[81]سورة البقرة، آية 255

[82]سورة آل عمران، آية 144

[83]حبنكة الميداني، 1996: 524–526

[84]حبنكة الميداني، 1996: 528

[85]سورة الأحزاب، آية 53

[86]سورة يونس، آية 19

[87]سورة سبأ، آية 23

[88]سورة الشعراء، آية 88–89

[89]سورة الشعراء، آية 115

[90]سورة سبأ، آية 28

[91]سورة البقرة، آية 255

[92]سورة آل عمران، آية 7

[93]سورة الأنعام، آية 25

[94]سورة الرعد، آية 26

[95]سورة البقرة، آية 8–9

[96]سورة المائدة، آية 117

[97]سورة الذاريات، آية 56

[98]سورة الزمر، آية 3

[99]سورة النبأ، آية 38

[100]سورة آل عمران، آية 64

[101]السكاكي، 1987: 288

المراجع العربية

القرآن الكريم

1. ابن أبي الأصبع المصري. (د. ت.) بديع القرآن. تحقيق حفني محمد شرف. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
2. ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1979). اللمع في العربية. تحقيق حسين محمد شرف. القاهرة: عالم الكتب.
3. ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق. (1985). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد ابراهيم. الدوحة: مؤسسة دار العلوم.

4. ابن فارس. أحمد. (1965). الصاحبي في اللغة. بيروت: دار إحياء العلوم.

5. ابن كثير، اسماعيل. (2000). تفسير ابن كثير. ترجمة ثلة من المتخصصين بإشراف الشيخ المباركفوري. الرياض: دار السلام.

6. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله. (2002). شرح تسهيل الفوائد. تحقيق عبد القادر عطاء و طارق فتحي السيد. بيروت: دار الكتب العلمية.

7. ابن يعيش، موفق الدين ابن علي. (د. ت.). شرح المفصل. مصر: إدارة الطباعة المنيرية.

8. أبو السعود، بن محمد العمادي الحنفي. (د. ت.). تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

9. أبو هلال العسكري. (د. ت.). كتاب الصناعتين. تحقيق علي محمد و محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

10. الأعظمي، أورنك زيب. "ترجمات القرآن الانجليزية عبر العصور". تمت إضافته قي (2015) على شبكة الألوكة.

http://www.alukah.net/sharia/0/83655

11. البيومي، محمد رجب. (2000). "معركة علمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم". مجلة الهلال. ديسمبر: 2000.

12. جبران، محمد علي. (2008). "أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية نحوية". رسالة دكتوراة غير منشورة. جامعة أم درمان الإسلامية. السودان.

13. الجرجاني، عبد القاهر. (1430). العوامل المائة النحوية. جدة: دار المنهاج.

14. الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود شاكر.جدة: دار المدني.

15. الجرجاني، عبد القاهر. (1991). أسرار البلاغة. تحقيق محمود شاكر. جدة: دار المدني.

16. حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن. (1996). البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها. دمشق:دار القلم.

17. الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر. (1992). أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل. تحقيق عبد الرحمن ابن ابراهيم المطرودي. الرياض: دار عالم الكتب.

18. الرافعي، مصطفى صادق. (1955). وحي القلم. مصر: المكتبة التجارية.

19. الرضي الإسترابادي، محمد بن الحسن. (د. ت.). شرح كافية ابن الحاجب. بيروت: دار الكتب العلمية.

20. الزركشي، محمد بدر الدين. (1988). البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

21. السكاكي، سراج الدين يوسف بن علي. (1983). مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية.

22. سيبويه، عمر بن بشر. (1983). الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: عالم الكتب.

23. الشجراوي، عزام عمر. (1991). "أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم بين النحو والبلاغة". رسالة دكتوراة غير منشورة. الجامعة الأردنية. عمّان.

24. الصابوني، محمد علي. (1981) . صفوة التفاسير. بيروت: دار القرآن الكريم.

25. الطبري، ابن جرير. (ت 310هـ). (1968). جامع البيان في تأويل آي القرآن. تحقيق محمود شاكر. مصر: دار المعرفة.

26. الفتلي، عبد الحسين. "أساليب الإستثناء عند النحاة القدامى". مجلة المجمع العلمي العراقي، ج 4، م 38. (1987) بغداد.

27. الكعبي، ربيعة. (1993). التركيب الاستثنائي في القرآن الكريم: دراسة نحوية بلاغية. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المراجع الأجنبية:

Abdel Haleem, M.(2004/2005). The Qur'an. Oxford: O.U.P.

Arberry, A. (1955). The Koran Interpreted. London: George Allen & Unwin Publishers.

Al-Hilali,T. & Khan, M. Translation of The Meanings of The Noble Qur'an in The English Language. Madinah: King Fahd Printing Complex.

Ereksoussi, Z. (2003). "A Pragmatic Study of Some Problem Areas in Translating Arabic Metaphors into English: Focusing on Three Translations of the Holy Quran". Unpublished PhD Thesis. Mohammed V University. Rabat.

Fintel, K. (1993). "Exceptive Constructions". In Natural Language Semantics. 1(2).

Ghazala, H. (2012). Translation as Problems and Solutions. Jeddah: Konooz Al-Marifa.

Grice, H. (1975). "Logic and Conversation". In Jawarski, A & Coupland, N. (Eds.). The Discourse Reader. London: Routledge.

Hornby, A. (1978). Oxford Student's Dictionary of Current English. Oxford: O.U. P.

Newmark, P. (1993). Paragraphs on Translation. Clevedon: Multi Lingual Matters Ltd.

Pickthall, M. (1977). The Meaning of The Glorious Qur'an. Makkah: Muslim World League.

Quirk, R. et al. (1985). A Comprehensive Grammar of The English Language. New York: Longman.

Sahih International. (1997). The Qur'an: Arabic text with Corresponding English Meanings. Jeddah: Abdul Qasim Publishing House.

www.islamic.org.uk/internalc.html

Yusuf Ali, A. (1991). The Holy Qur'an: English Translation of The Meanings and Commentary. Al-Madinah: King Fahad Holy Qur'an Printing Complex.

Ziyad A. & Mohammed J. (2012). "The Rhetorical Meanings of Exception in The Glorious Qur'an with Reference to Translation". College of Basic Education Researchers Journal. Vol. 12; No. 2.